الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات ..... قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الرمز الصوفي ودلالته في شعر عبد القادر الجيلاني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
منيرة مولة
رقية قاجة
سعيدة فقراوي

إشراف الدكتور:
د. مسعود بن ساري

السنة الجامعية: 2022/2021

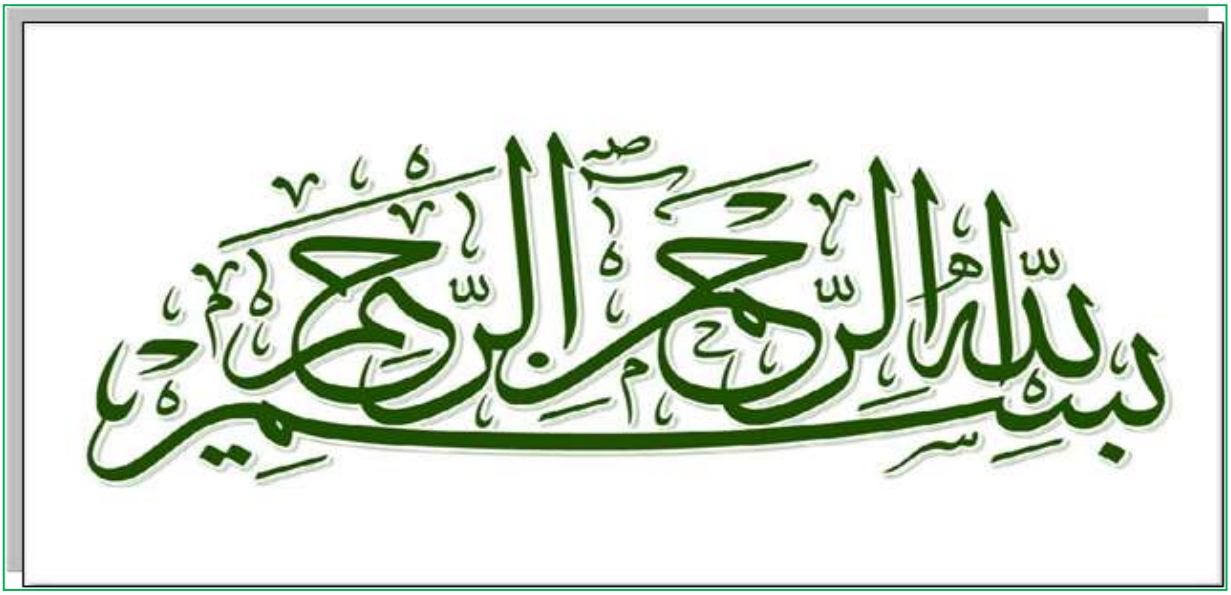
بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صاحب الخلق الطاهر صوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن ولاه إلى يوم الدين.

من أبرز الشعراء الصوفيين: عبد القادر الجيلاني الذي وظف الرمز في شعره توظيفا فنيا جماليا في قالب متنوع. وقد وقع اختيارنا لشعره فتناولناه موضوعا لمذكرة تخرجنا، وهي موسومة ب: "الرمز الصوفي ودلالته في شعر عبد القادر الجيلاني". ومن جملة أسباب اختياره رغبتنا في دراسة الشعر الصوفي، وشهرة الشيخ الجيلاني، والرغبة في التعرف على الرموز الصوفية من خلال هذه الدراسة.

والإشكال الأساسي الذي تطرحه الدراسة هو: ما هي الرموز الصوفية التي وظفها الشاعر؟ وما هي دلالتها الصوفية؟ أما الإشكالات الفرعية الثانوية: ما حقيقة الرمز؟ وما التصوف؟ ومن يكون الشاعر؟

ولحل هذه الإشكالات بنينا خطة من مقدمة وفصلين وخاتمة، ففي الفصل الأول (مفاهيم أولية) تناولنا مفهوم الرمز ومفهوم التصوف وترجمة الشاعر. وفي الفصل الثاني (الرمز ودلالته) وفي استخرجنا جملة من الرموز الصوفية عند الشاعر وبينا دلالتها.

ومن أبرز المصادر والمراجع التي كانت عونا لنا في هذه الدراسة، ديوان عبد القادر الجيلاني، المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم الرمز الشعري لعاطف جودة.

ورغم الاستفادة من مراجع مختلفة إلا أنه قد أعاقت البحث بعض الصعوبات والتي من بينها: الجدال الكبير الذي دار حول التصوف وكثرت الآراء والأقوال فيه، وكذلك نقص الدراسات التي أفردت تحليلا لقصائد عبد القادر الجيلاني.

وما عساني في هذا المقام والمقام، أن أتفوه بهذا الاعتراف بجميل الشكر لأستاذي المؤطر "بن ساري مسعود" على الجهد المبذول وتعاونه معنا وتأطيره للبحث ونصائحه طوال عمر المشروع فالحمد لله على ما أنعم به والشكر موصول إلى كل رمز وقف معنا في سبيل إخراج هذه المذكرة إلى النور.

الفصل الأول

مفاهيم أولية

المبحث الأول: مفهوم الرمز

المبحث الثاني: ظاهرة التصوف

المبحث الثالث: ترجمة الشاعر

المبحث الأول: مفهوم الرمز

معنى الرمز:

الرمز في اللغة تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين. وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز ويرمز ورمزا وفي الترتيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام: "ألا تكلم الناس ثلاثة أيام وإلا رمزا"[1].

وهو لدى الزمخشري: "رمز: رمز إليه، وكلمة رمزا: بشفتين وحاجبين، ويقال جارية غمازة بيدها همازة بعينها لمازة بفمها رمازة بحاجبيها. ودخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا، وضربه حتى خر يرتمز للمرث، يتحرك حركة ضعيفة وهي حركة الوقيذ، ونبهته فما ارتمز وما ترمّز"[2]. فالرمز في التعريف اللغوي مرادف للإشارة والهمس، والإيحاء والإيماء من غير صوت. "الرمز بالإشارة ولكن في تفسيره كما يكلم الناس الأخرس"[3]، دليل على أن الإشارة عنه لا تكون مصحوبة بصوت يزيل بعض إيهامه وخفائها.

والرمز في الاصطلاح: "ما يعني أو يومئ إلى الشيء عن طريق علاقة بينهما، كمجرد الاقتران أو الاصطلاح أو التشابه العارض accidental غير المقصود"[4] فالرمز إيماء وإيحاء شيء لشيء في شبه طعم لذلك الشيء لتشابه طارئ بينهما.

وهو: "شيء حسي كإشارة إلى شيء لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين، أحست بها مخيلة الرامز"[5]، أي اقتران بين شيئين محسوسين في تخيلات الفرد دون تصريح بما يختلج النفس البشرية، بل بإيماء وإيحاء جدوله الرمز والغموض.

وهو عند السيميائيين: ليس "مجرد دال صوتي بل هو متصور عيني أو ذهني في أحسن الأحوال وليس متواطأ عليه، بل هو علامة شاردة في فضاء دالي فسيح، يعطي تدفقا

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، م2، ط1، 2008م، ص1090.
[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الهدى، عين المليلة، دط، دت، ص264.
[3]- الزمخشري، الكاشف، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983م، ص429.
[4]- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر 1977م، ص35.
[5]- محمد كعون، التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ص25.

دلاليا أكبر"[1]، أي أن الرمز متصور ذهن عيني يجمع بين عالمين حسي ومعنوي وهو تواحد ترميزي.

"فالرمز الشعري يبدأ من الواقع ليتجاوزه دون أن يلغيه إذ يبدأ من الواقع المادي المحسوس ليتحول هذا الواقع إلى واقع نفسي وشعوري تجديدي يند للتجديد الصارم"[2]

كل هذه التعاريف تقوم على علاقة إيحائية بين الشيء ورمزه وما يحيل إليه، وهذه العلاقة متفاوتة دارس لآخر وهذا يعود إلى الرمز ووظائفه، ولأنه يمنح الأشياء وظائف جديدة، تخرجها من مفاهيمها المتعارف عليها إلى مفاهيم رمزية ليعبر بها عن كيانات هذه الأشياء وهذا لا يتحقق إلا من خلال الرمز وداخله.

أنواع الرمز:

إن طبيعة الرمز النثرية والفنية، والمثيرة في الوقت ذاته تجعل له فروع شتى وفي ميادين متعددة في علم الأنثروبولوجيا وعلى النفس، وعلى الاجتماع، وعلى اللغة نفسه:

أ- الرمز الغيبي الميتافيزيقي: "هو اتجاه يستند بالدرجة الأولى إلى نظرية المثل الأفلاطونية التي ترى الوحدة بين مظاهر الوجود، كما يرى أن عالم الحس هو علامة على وجود عالم مثالي يكمن في الحس والمخيلة، حيث يرى (بودلير) أن الغزيرة نزاعه إلى الجمال فهي الأرض أو بعض الصور من السماء"[3]

ب- الرمز اللغوي: "هو رمز اصطلاحي تشير عنه الكلمة إلى الموضوع معين إشارة مباشرة كما تشير كلمة "باب" إلى الشيء الذي اصطلحنا على الإشارة إليه بهذه اللكمة لكن دون أن تكون هناك علاقة حيوية بينهما علاقة التداخل والامتزاج التي تكون بين الرمز الشعري وموضوعه بين الرمز والمرموز إليه"[4]

ج- الرمز الأسطوري: "في ضوء المفاهيم الحديثة للأسطورة وتأثرها بالشعر العربي الحديث انصرف الشعر العربي الحديث إلى الأسطورة موظفا إياها كرؤية فنية رمزية يثري بها بنائه الشعري، ويستخرج منها أعمق الأبعاد الفلسفية والفنية، حينما يتم توظيف الأسطورة مثل: قصيدة السياب "سربروس" في "بابل" التي تصبح فيها الأسطورة جزء من جسد قصيدة

---

[1]- نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هدمة، ط1، 2003م، ص71.
[2]- أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص33.
[3]- محمد سعيد فاطمة الزهراء، العناصر الرمزية في القصة القصيرة، ص23.
[4]- عز الدين إسماعيل، قضايا الشعر المعاصر، ص197.

الأم لتقارب الدلالة القديمة فيها الدلالة الحديثة فبابل رمز العراق، سربوس رمز الحاكم الطاغي"[1]

د- الرمز الشعري: "لطالما وجدت الرمزية العقل الخصب لها في الشعر بنوعيه الغنائي والتمثيلي، يحاول الشاعر دوما خلق حالة نفسية خاصة وإيحاء بهذه الحالة في غموض حتى يصعب على القارئ، وفي العديد من الحالات إن يقف على التفاصيل المعاني التي يقصدها الشاعر من خلال شعره، وإنما وكل ما تستطيع إن نستشفه هو الحالة النفسية العامة من صدر هذا الشعر في ثنايا"[2]

هـ- الرمز الموضوعي للقصص: يلجأ الشعراء لهذا النوع لمعالجة المشاكل الإنسانية والأخلاقية، وبكثير من الخيال والتصورات البعيدة عن مشاكل واقع الحياة، فالهدف منها ليس تصوير الواقع وتحليله ونقده، بل يعتمد على تجميد أفكار مجردة وتحريكها في أحداث تتداخل وتتشابك لإيضاح الحقائق في صور على ألسنة الحيوان مثلا نقصد النقد أو التوجيه خاصة فيما يتعلق الأمر بالخطر الذي يواجه هؤلاء الأدباء إذا عبروا عن مقاصدهم بشكل مباشر"[3]

و- الرمز الديني: الرمز الديني هو استخدام الرموز بما في ذلك الأمثلة النموذجية، والأعمال الفنية، والأحداث، أو حتى الظواهر الطبيعية المرتبطة بدين معين. فالرموز الدينية هي الرموز المستمدة والمستقاة من الكتب الساموية الثلاثة: القرآن الحكيم والإنجيل، والتوراة.

ي- الرمز الصوفي: الرمز الصوفي أحد أهم القضايا التعبيرية في النثر الصوفي، الذي يحفظ أسرارهم وحقائقهم الجوهرية، وذلك بسبب خوف الصوفيين من نشر أفكارهم فتستباح دمائهم، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى استخدام الرمز يقول القشيري: (وهذه الطائفة "الصوفيون" مستعملون ألفاظا بينهم قصدوا بها الكشف، لتكون معاني مستبحة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم وأن تشيع في غير أهلها)

خصائص الرمز:

هناك سمات وخصائص تميز الرمز لا تجعله مجرد إشارة أو علامة دالة، وقد تم استنباطها من المفاهيم المتعددة له، وأهم هذه الخصائص: **الغموض، الإيحاء، الإيجاز، الاتساع، السياقة، غير المباشرة في التعبير**

---

[1]- إبراهيم الروماني، الغموض في الشعر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص288.
[2]- حامد حنيفي داوود، تاريخ الأدب الحديث وتطوره، ص138.
[3]- عز الدين إسماعيل، قضايا الشعر العربي المعاصر، ص196.

المبحث الثاني: ظاهرة التصوف

التصوف (لغة واصطلاحا):

ورد في لسان العرب "الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت وهم الصوفان"[1]

وجاء في المعجم الوسيط: تصوف فلان: صار من الصوفية، التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح، أما علم التصوف: مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة هو جملة من القيم والآداب التي يقومون عليها وتمسكون بها مجتمعا في خلواتهم.

وجاء في معجم البستان الصوفية كل من ولي شيئا من عمل البيت يقول أبو حي بن مضر الصوفي عن المتصوفين من صوفان بنفسه باق بالله تعالى مستخلص من الطبائع متصل بحقيقة الحقائق. أما التصوف فهو: تصفية القلب عن موافقة البرية وموافقة الأخلاق.

نشأة التصوف:

"لقد نشأ وترعرع في صفوف طائفة من المتعبدين والمتزهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، واتصفوا بشيء من الغفلة أو السذاجة أحيانا مع بعض الجهل في السين والآثار، وإن كانوا في الجملة محبين للخير راغبين فيها عند الله تعالى، ولعل أن يشفع لهم صدق توجههم، ومجاهداتهم ومكابدتهم في الطاعات وسائر العبادات.

والله سبحانه وتعلى أعلم بهم وأحوالهم والحاصل أن هؤلاء فتحوا في الإسلام مدخل عظيم ولجت منه طائفة من أهل الشر والفساد الذين اندسوا في صفوف هؤلاء المتعبدين والمتزهدين يرددون أقوالهم ويتظاهرون بصفاتهم ليكونوا مقبولين في العامة من الناس وهم ق حملوا على ظهورهم وأكتافهم معاول الهدم للإسلام وأهله"[2].

أي أن هؤلاء المتعبدين والمتزهدين كانوا يعملون سيئة وحسنة كما أنهم كانوا يتظاهرون بصفاتهم ليكونوا مقبولين عند عامة الناس كما انهم مصدر لهدم الإسلام، وأما عن مبدأ نشأة التصوف فإنه محل خلاف ليس بين العلماء والمؤرخين فحسب بل حتى بين

---

[1]- المرجع السابق، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص200.

[2]- فلاح بن إسماعيل بن أحمد، العلاقة بين التشيع والتصوف رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية دكتوراه، مخطوط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1411هـ، ص86-87.

المتصوفين، ممن كتب في تاريخ التصوف وفكره قديما وحديثا فاختلفوا في مبدئهم من الناحية التاريخية.

ولعل سبب هذا الاختلاف أن الصوفية في مبدئهم كانوا أفرادا، ينتشرون هنا وهناك في أطراف البلاد الإسلامية لا تربطهم رابطة، ولا تجمعهم ضوابط سلوكية أو علمية، فاسم التصوف أطلق في أول الأمر على أفراد معينين ثم شاع استعماله بعد ذلك بفترة من الزمن، كما عرف هؤلاء باسم الصوفية وهم: أبو الهاشم الكوفي المتوفى سنة 150هـ، وجابر بن حيان المتوفى سنة 208هـ، وعبدك الصوفي المتوفي سنة 210هـ.

"والحاصل مما تقدم أن التصوف أطلق على بعض الأفراد أثناء القرن 2 من الهجرة لكن اشتهار اللفظ لم يكن إلا بعد انقطاع القرون الثلاثة الأولى، فالتصوف لم يعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنه ولا في زمن التابعين وأتباعهم رحمهم الله"[1]

رواد التصوف:

1/ رابعة العدوية: (721-801م)

"لقد كانت رابعة امرأة فريدة من نوعها وكانت أمة مملوكة ثم اعتقت فكانت تعزف على الناي، وفي مدينة البصرة حيث أمتعت الناس بموسيقاها وغناها ورقصها"[2]وبعد ذلك انقطعت إلى العبادة وهربت إلى الله إذ تقول: "إلهي إني غريبة ويتيمة وأرسف في قيود الرق، ولكن همي الكبير أن أعرف أراض أن عني أن غير راضي"[3] أي رابعة العدوية انقطعت عن الموسيقى والرقص وتابت وبدأت بالعبادة وهربت إلى الله.

2/ أبو منصور الحلاج (858):

"واسمه بالكامل أبو المغيث الحسن بن منصور المشهور بالحلاج ولد في إيران حوالي سنة 858 من أسرة عربية عريقة، استمرت في فارس أيام الفتوحات الإسلامية ثم جاء مع أسرته إلى العراق، وله في العمر ستة عشرة سنة وأخذ التصوف في مدرسة التستري (818-896) بالبصرة"[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص88.
[2]- جان شوقلي، التصوف والمتصوفة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1999م، ص27.
[3]- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية) دار الرشاد، القاهرة، ط1.
[4]- جان شويقلي، التصوف والمتصوفة، ص42.

"أي عندما أصبح في عمر16 سنة أخذ التصوف في مدرسة التستري وهو من أسرة عريقة ثم ترك البصرة قاصدا مكة لأداء فريضة الحج وقضى هناك عاما كاملا من الرياضيات الصوفية، ثم حج الحلاج مرة ثالثة وحين أنهى مناسكه رجع إلى بغداد وأقام فيها حتى آخر أيامه، كان ثائرا على تعاليم الإسلام ورفع أمره إلى القضاء مطالبا بمحاكمته أمام الناس لكم القاضي "أبا العباس" كان مطلعا على فكر الحلاج فأبى إدانته"[1]، أي "أبا العباس" طالب بمحاكمة الحلاج فسجن الحلاج وأساس محاكمته من الاتهامات منها تعاطفه مع القراسطة وإفطاره في رمضان كل هذه التهم كانت سببا في إعدام الحلاج، كما صلى ركعتين وبعد إتمامه الصلاة لطم وضرب بالسوط ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرقت جثته فصار رمادا، ث رمي في نهر دجلة أما رأسه وأطرافه فنصبت للناس على سور السجن، للحلاج مؤلفات عديدة منها:

- كتاب حمل النور والحياة والأرواح.
- كتاب القرآن والفرقان.
- كتاب سر العالم والمبعوث.

3/ السهرودي (115-1191م):

هو شهاب الدين يحيى السهرودي ولد قرب سهرود في منطقة الجبل بين قزوين وجبال إيران الشمالية الغربية، بدأ صغيرا حياته العلمية من قراءة القرآن والحديث وأصول الحكمة والفلسفة السكولائية كما أصبح التاريخ يعرفه على أنه "الشيخ المقتول" وأما أصحاب الفلسفة فيعتبرونه "شيخ الحكمة المشرقية" وأنه إن مات عن ستة وثلاثين سنة فقد ترك لنا كثير الكتب[2].

4/ محي الدين بن عربي (560هـ-1165م):

هو أبو عبد الله محمد بن علبي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي، ينتمي نسبه إلى حاتم الطاني، ويكنى أبو بكر ويلقب بالشيخ الأكبر، كما اشتهر بمحي الدين بن عربي[3]، كان والده (علي بن محمد) من أئمة الفقه والحديث، ولد ابن العربي في 17 رمضان 560هـ الموافق لـ 1165م في مرسيا شرق الأندلس[4]، ولما بلغ الثامنة من عمره انتقل مع أسرته إلى

---

[1]- ديوان الحلاج ويليه أخباره وطواسينه، جمع وتقديم: سعد صناوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص12-13.
[2]- المرجع السابق، ص55-56.
[3]- شرح ديوان ابن العربي، تقديم: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م، ص05.
[4]- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، ص163.

إشيليا، هنا بدأ دراسته وقرأ القرآن بقراءاته السبع ثم واصل دراسته في قرطبة أين التقى بابن رشد[1]، وينتمي أبو بكر إلى أسرة ذات مستوى رفيع اجتماعي.

سافر إلى آسيا الصغرى وأدى به التجوال إلى أبواب إيران.

5/ أبو زيد البسطامي (800-874م):

أبو زيد طيفور يسمى بالأكبر أو أبي زيد لأن هناك شخصا آخر يدعى أيضا طيفور البسطامي وينعت بالأصغر، فالأكبر هو الذي يعتبر مريدا صوفيا من متصوفة إيران، بالرغم من أن هذه الشخصية قد لعبت دورا أساسيا في تاريخ التصوف فإن ترجمة يسرتها ظلت شبه مجهولة لدينا ويبدوا أنه ابتدأ حياته بعلم الفقه الإسلامي[2]، كما ظهر أنه كان محيطا بالفكر الصوفي خبيرا بأسراره وقد جمع أتباعه أقواله ولم يؤسسوا مدرسة تابعة له إلا بعد موته، لذلك دعت حوله الأساطير[3] وهو أول من تكلم في (الفناء) ومن أقواله في ذلك: عرفت الله بالله، عرفت ما دون الله بنور الله وللخلق أحوال ولا حال للعارف بأنه محيت رسومه وفنية هويته لهوية غيره وغيبت آثاره لآثار غيره[4] ولأن هدف التجربة الصوفية هو معرفة.

الله فقط أعطى البسطامي للشطح صورته الكاملة والشطح كشف يعبر عن تجربة الوحدة مع الله، فحسب البسطامي يحضر الصوفي مع الله فتنزل المكانية والزمانية فهذا الحضور ينفي المثلية في الحاضر، فتغيب صفاته يقول في ذلك "ليس مثلي في السماء ولا لمثلي صفة في الأرض، صفاتي غائبة في غيبه وليس للغيب صفات تعرف"[5]

وأشهر كتب البسطامي في التصوف: "مناهج التواصل في مناهج الترسل" وفي علم التفسير الحروفي "كشف أسرار الحروف"، "شمس الآفاق في علم الحروف"[6].

مراحل التصوف:

مر التصوف بثلاثة مراحل، فالأولى تضم الصوفية الذين كانت وفياتهم في أثناء المائة الثانية من الهجرة، والمرحلة الثانية تضم من كانت وفياتهم في أثناء المائة الثالثة من الهجرة، والثالثة تضم من مات في أثناء المائة الرابعة أو بعدها[7].

---

[1]- شرح ديوان ابن عربي، ص6،5.
[2]- جان شوقلي، التصوف والمتصوفة، ص28.
[3]- المرجع نفسه، ص36،35.
[4]- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، ص65-66.
[5]- أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحول بحث في الأتباع والإبداع، دار العودة، بيروت، دت، ص98.
[6]- عبد المنعم الحنفي، موسوعة صوفية، ص56.
[7]- ينظر، يوسف زيدان، المتواليات دراسة في التصوف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص07.

المرحلة الأولى: فكانت عبارة عن زهد وتقشف وذلك بمخالفة المألوفات وترك كثير من المباحات، والتوسع في المطاعم والمساكن، والابتعاد عن الناس تجنبا للانغماس في الشهوات والملذات وقد اشتهر الصوفية بكثرة العبادات من الصلاة والصوم الذي كل ما هو محمود[1] أي ابتعدوا عن الشهوات والملذات وذهبوا إلى العبارات من صوم وصلاة وغيرها.

كما عرف التصوف في القرن 02 للهجرة أنهار كثر، وأعلاما حملا التصوف محملا إسلاميا، حيث انتشر انتشارا واسعا على يد فلاسفة كان منطلقهم القرآن، ومن أعلامه نذكر: سعيد بن المتسيب (159هـ)، يحيى بن دينار، الإمام مالك (179هـ)، إلى جانب معروف الكرخي كما أنهم طبقات من العابدين والزاهدين، وعلى أيديهم ظهر التصوف[2]، أي التصوف عن هؤلاء كان عندهم محملا أساسيا وهاما.

أما المرحلة الثانية: تشمل القرنين الثالث والرابع هجري، فقد شهد التصوف انتشارا أكبر نظرا للرسالة التي يحملها فظهر عدد كبير من أئمة التصوف كان من أبرزهم ذو النون المصري (155هـ-245هـ).

الذي يعتبر من أبرز أعلام التصوف ورأس المدرسة الصوفية المصرية على مر الزمان[3].

كما اشتهر أيضا أبو زيد البسطامي الحارث المحاسبي، وأبو القاسم الجنيد الذي يرى البعض أن علم التصوف ظهر على يديه في هذا القرن سيد الصوفية (2)، أي أن علم التصوف والذي يعتبر من أبرز أعلامه.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة: والتي تشمل القرنين الخامس والسادس للهجرة تشهد اكتمال التصوف، فقد اتخذ نهجا إصلاحيا ومن أشهر متصوفة في هذا القرن نذكر: أبو القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية، فقد اكتمل هذه المرحلة التصوف ونضح تماما بظهور مؤلفات كثيرة التي حددت منهجية في التلقي والتفكير والتعلم، بأنهم يتلقون عقائدهم وشرائعهم هم الله مباشرة، أو عمن يرسلهم الله إليهم من الملائكة أو الهواتف التي يسمعهم الحق إياهم وكذلك تفكيرهم وعلمهم فإنه يقوم على الواردات، والرؤى والمنامات التي اعتبروها

---

[1]- ينظر: فلاح بن إسماعيل، العلاقة بين التشيع والتصوف، ص99.
[2]- محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص19.
[3]- محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص59.

من أصول التشريع والتلقي، كما حددت مؤلفاتهم في هذه المرحلة القواعد والأسس التي اعتمدوها في فهم النصوص الشرعية[1]، أي أنه تحدث عن العلاقة بين التشيع والتصوف.

فعليه نستنتج أن التصوف ظاهرة دينية، ظهرت كنزوات فردية تدعو إلى الزهد والتشدد ثم ما لبثت أن تطورت تلك النزوات حتى صارت طوق وقد تداخلت طرقهم مع الفلسفات الأخرى[2].

نتيجة:

من هذا المنطلق نرى أن التصوف يعد من أهم المواضيع الأدبية التي تستحق الدراسة والاهتمام، وذلك لاعتباره عالما يتطلب فيه طرق بابه والخوض في صدى غماره، كونه يمثل حلقة مفقودة في التاريخ الأدبي.

---

[1]- فلاح بن إسماعيل، العلاقة بين التشيع والتصوف، ص109.

[2]- ينظر: موسى بن موسى، ظاهرة التصوف ودورها في صقل العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع8، ص163.

المبحث الثالث: ترجمة المؤلف

عبد الجيلاني أو الكيلاني (470هـ-561هـ): هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا بـ "سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه أتابعه بـ "باز الله الأشهب"و "تاج العارفين" و"محي الدين" "وقطب بغداد" وإليه تنسب الطريقة القادرية الصوفية.

مولده ونشأته:

ولد في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر سنة 470هـ الموافق 1077م[1] وهناك خلاف في محل ولادته، حيث توجد روايات متعددة أهمها القول بولادته في جيلان في شمال إيران حاليا على ضفاف بحر قزوين، والقول أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده الأسرة الكيلانية ببغداد[2].

وقد نشأ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر بالصالحة فقد كان والده أبو صالح موسى معروفا بزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محب الجهاد"[3]، عبد القادر الجيلاني تعلم لدى أبو الوفاء بن عقيل مهنته شاعر وفقيه ومتصوف لغته العربية، ديانته الإسلام، مواطنه الدولة العباسية مذهبه الفقيهي حنبلي شافعي عقيدته أهل السنة والجماعة، توفي ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561هـ.

مؤلفاته:

صنف عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أحل الأحوال والحقائق والتصوف، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصور، وفيها المنسوب، وترجمت أغلب مؤلفاته إلى اللغات العالمية ولاسيما اللغة الإنجليزية بواسطة (مختار هولاند 1935-2010)[4]، منها:

- إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.
- أوراد الجيلاني.

---

[1]- المنتظم، تأليف ابن الجوزي، ج10، ص219.

[2]- كتاب جغرافية الباز الأشهبي، تحقيق مكان ولادة الشيخ عبد القادر الجيلاني، د. جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة الجليس، بيروت، 2012م، ص14.

[3]- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م، ج20، ص439.

[4]- كتاب عبد القادر الكيلاني، رؤية تاريخية معاصر (كتاب)، تقديم الدكتر عماد عبد السلام رؤوف، مؤسسة مصر مرتصى للكتاب العراقي، بغداد، 2011م، ص87.

- آداب السلوك والتواصل إلى منازل السلوك.
- تحف المتقين وسبيل العارفين.
- جلاء الخاطر.
- حزب الرجاء والانتهاء.
- الحزب الكبير.
- دعاء البسملة
- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.

✓ رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.

✓ لغنية لطالبي طريق الحق: وهو من أشهر كتبه في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزآن:

- –الفتح الرباني والفيض الرحماني: وهو من كتبه المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد.

✓ فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد وتأليف من 78 مقالة.

✓ الفيوضات الربانية: وهكذا الكتاب ليس له ولكنه يحتوي الكثير من أوراده وأدعيته وأحزابه.

✓ معراج لطيف المعاني.

✓ يواقيت الحكيم.

✓ سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.

✓ الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.

✓ رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة مترجمة للفارسية يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول[1].

✓ المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.

✓ حزب عبد القادر الجيلاني: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.

[1]- باز الله الأشهبي، يوسف زيدان، دار المعارف، مصر، 1999م، ص31.

- ✓ تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- ✓ الرد على الرافضة: منسوب له وهو لمحمد بن وهب نسخة مخطوطة في المكتبة القادرية ببغداد.
- ✓ وصايا الشيخ عبد القادر الجيلاني: موجود في مكتبة فيض الله مراد حتى رقم 251.
- ✓ بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهبي: مواعظ للشيخ جمعها نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي الشنطوفي.
- ✓ الدلائل القادرية، الحجة البيضاء، بشائر الخيرات.

مذهبه وعقيدته:

كان الجيلاني يفتي على المذهب الشافعي بالإضافة إلى المذهب الحنبلي لذلك قال عنه النووي: إنه كان شيخ الشافعية والحنابلة في بغداد، ولقد علق على ذلك أبو عبد الله محمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ) فيما كتبه عن الشيخ قائلا: "وهذا مما يدل على أنه لم يكن متقيدا بمذهب أحمد حتى في الفروع، وكأنه كان يختار من المذهبين، بمقتضى غزير عمله وسديد نظره الأحوط للدين، والأوفق باليقين، كما هو شأن أهل الرسوخ في العلم والتكوين"[1]

بمعنى أن الشاعر لم يكن متقيدا بمذهب واحد في شعره، بل كان يختار من كلا المذهبين. وقد بين الجيلاني عقيدته في المقالة التي وردت في آخر كتابه (فتوح الغيب) كما أوردها إسماعيل بن محمد سعيد القادري في كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية[2].

وفاته:

توفي ببغداد سنة: (561هـ = 1166م)

---

[1]- أبو بكر القادري 1999م، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين، الآسيوي والإفريقي، بيروت، لبنان، مطبعة النجاح الجديدة، ص107، مؤرشف من الأصل في 22 أغسطس 2020.

[2]- عبد الباقي مفتاح (2014م)، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص67، مؤرشف من الأصل في 22 أغسطس 2020.

الفصل الثاني

الرمز الصوفي ودلالته

المبحث الأول: أشكال الرموز

المبحث الثاني: دلالتها

المبحث الثالث: خصائصها

ينقسم ديوان عبد القادر الجيلاني الذي حققه الدكتور يوسف زيدان إلى قسمين: أولهما خاص بالقصائد الصوفية، والقسم الثاني خاص بالمعادلات الرموزية وكل من شعره ونثره ذو طابع صوفي، لأن كتابات الشيخ كلها لا تخرج عن هذا الإطار الذي رسمه لنفسه إذ هو شيخ الطريقة وقطب رحاها.

وقد بلغ الجيلاني في ديوانه "هذا غاية التمكين في توجيه المصطلح الصوفي وإرساله إلى أبعد الدلالات، بل أنه كثيرا ما هجر المصطلح السابق عليه، وراح يرسم بالكلمات اصطلاحات جديدة لا نكاد نجدها عند غيره من أهل الطريق"[1]

ما يميز شعر الإمام وفرة المعاني الصوفية أضف إلى ذلك الاستمداد من المعجم القرآني والمعجم الصوفي والمعجم الحديثي ونعرض فيما يلي المعاني الشعرية والرموز الصوفية التي يدور حولها شعره. وقد رأينا من الصعوبة فصل مباحث هذا الفصل عن بعضها، ولذلك سندرسها مدمجة مع بعضها: الرمز ودلالته ثم خصائصه عن الشاعر.

الرمز ودلالته وخصائصه:

إن الرموز الصوفية "ليست تعبيرا صافيا من مقاصد صاحبها إنما هي تعبيرا عن معنى يستعصي أبدا عن الحضور، إنه المعنى الذي لا هواية له"[2]، لهذا تعددت واختلفت باختلاف مدلولاتها، فنجد:

رمز الخمرة:

وظف الشاعر رمز "الخمرة" الذي يدل على الهروب من واقع مليء بالنكسات ومفعم بالماديات، الاستسلام وكذا نسيان الواقع المولود بالهموم وفي هذا الصدد يقول:

سَقَانِي الْحُبُّ كَاسَاتِ الْوِصَالِ ... فَقُلْتُ لِخَمْرَتِي نَحْوِي تَعَالِي
سَعتْ وَمَشَتْ لِنحْوِى فِي كُئُوسٍ ... فَهِمْتُ بِسَكْرَتِي بَيْنَ الْمَوَالِي

الدالة الصوفية قد شكلت الخمرة في العرفان الصوفي رمزا من رموز المحبة الإلهية فمنحوها دلالات جديدة فرج دائرة المادية التي تعرف بها... لقد عبرت الخمرة في المعجم

---

[1]- مقدمة تحقيق ديوان عبد القادر الجيلاني، ص21-22، بتصرف.
[2]- داوود محمد القصيري، شرح القيصري على قافية ابن الفارض، اعتنى به أحمد فريد، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء 2، ص345.

الصوفي عند الفناء في الذات الإلهية، وحالات المشاهدة والتجلي، فهو سكر يورث في الإنسان الطرب والبسط والإذلال وإفشاء السر الإلهي.

فقد استخدم شعراء الصوفية الخمرة رمزا للعرفان واستعاروا القاموس اللغوي لها كما فعلوا في رمز المرأة وذلك للدلالة عن أمور غيبية بتقريب الصورة للمتلقي من أجل فهمها وتذوقها، لأن الذوق "أول ما يأذن التجليات الإلهية فالخمر موجبة للكسر والسكر عند القشيري هو غيبة بوادر قوى والصحو هو رجوع الإحساس بعد الغيبة"[1]

اتخذ الشاعر رمز "الطبيعة" دلالة عن التغني بها تارة بالفرح وسرور وتارة بالحزن، ذلك حسب المقام والحالي الذي هو فيه، فقد اختلف الرمز باختلاف المكونات الحسية من جبال وصحاري وتلال والظواهر الطبيعية والحيوان وغيرها، وقد صنف غالي نعيمي هذه الرموز حسب دلالاتها إلى خمس صور[2]

رمز الطير:

إذ وظفه الشاعر وأنواع التغريد لتذكر غربته وحضيرته إلى وطنه الأم ويحرك شوقه للبدء والأصل، فالأصل هو الطبيعة (الأم) والفرع هو الإنسان (الابن) وفي هذا الصدد يقول:

وَنَوحُكَ يا أَيُّهذا الحَمامُ ... يُثيرُ المَشوقَ يَهيجُ الغَيورا

رمز الأطلال:

كما ظف رمز (الأطلال) التي ترمز إلى الماضي السعيد التي كانت عليه النفس في البدء وفي هذا الصدد يقول ابن الفارض:

قِفْ بالدّيَارِ وحَيّ الأربُعَ الدُّرُسا ... ونادِها فعَساهَا أن تجيبَ عَسَى
وإنْ أَجَنَّكَ ليلٌ مِن تَوَحّشِهَا ... فاشعَلْ من الشَّوق في ظَلمائِها قبسا

وبالتالي فقد اتخذت الصوفية رمزا للتعبير عن أحوالهم، وذلك لأن الأصل الإنسان جسد وروح فالروح تنتسب إلى الله "ونفخت فيه من روحي" فأصلها إلهي مقدس، أودعها الله في قالب الجسد المنتسب كذلك إلى الطبيعة (التراب) من حيث الخلق ومنشأ، وكل من الروح

[1]- مرسلي بولعشار، الخصائص الفنية للرمز عند الصوفية، مجلة علوم اللغة العربي وآدابها، العدد5، جامعة الوادي، الجزائر، 2013م، ص298.
[2]- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، النيل، القاهرة، دط، 1998م، ص328.

والجسد مغتربان من وطنيتها فهما في حنين دائم إلى الأصل الأول، بسبب الانفصام[1]، أي مرجع الروح الإلهي المقدس.

رمز المرأة:

وظف الشاعر رمز "المرأة" للدلالة على الجمال والحنان والرقة عكس القبح والقسوة، ومن بواكير الغزل الصوفي الذي يرمز إلى المحبوب قول رابعة العدوية:

تَرَكتُ هَوَى سَعدى وَلَيلى بِمَعزلٍ ... وَعُدتُ إِلَى مَصحُوبِ أَوَّلَ مَنزِلِ
غَزَلتُ لَهُم غَزلاً رَقِيقاً فَلَم أَجِد ... لِغَزلِيَ نَسَّاجاً فَكَسَّرتُ مِغزِلِي

وقد اعتبر الشاعر الصوفي المرأة رمزا تعبر عن الجمال الإلهي المطلق والجمال هو سبب الحب عندهم أورد ابن عربي أن الحب سببه الجمال وهو له، لأنه الجمال محبوب لذاته، والله جميل يحب الجمال، فيحب نفسه.. فهي الأنوثة السارية في العالم والظاهرة في صفاتها بوضوح في النساء[2].

رمز الفتوة:

وظف الشاعر لفظة "الفتوة" التي تعني في اللغة تعبر عن الشاب والشابة فقد وردت في القرآن الكريم في قوله: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) "الآية 20"، وقد جاءت هذه الكلمة في قوله:

أَنَا البَدْرُ فِي الدُّنْيَا وَغَيْرِي كَوَاكِبٌ ... وَكُلُّ فَتىً يَهْوَى فَذَلِكُمُ عَبْدي

دلالتها الصوفية: "اتخذها الصوفية كلمات عابرة قد تخلوا أحيانا من دقة التحليل إذ عبر عنها ابن عربي بأنها صفات مقام خاص سماه مقام الفتوة التي تدل عن المقام وبالتالي فهي عمر الإنسان من زمن بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته"[3].

رمز الحب:

كذلك وظف الشاعر لفظة "الحب" التي تعني شعورا عكس البغض وقد وردت هذه اللفظة في قوله:

---

[1]- الرمز الشعري، العاطف جودة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1.
[2]- المعجم الصوفي لسعاد حكيم، دار بدرة للطباعة والنشر، الطبعة 1، بيروت، لبنان، ص145.
[3]- معجم الألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي، دار النشر مؤسسة مختار، الطبعة 2، بيروت، ص254.

وَبِبَذْلِنَا لِلحُبّش نِلْنَا عِزَّةً ... وَعَلَى الرؤوس تَتَقَّلَتْ أَقْدامُنَا

تمثلت دلالتها الصوفية أنها عبر الصوفيون بها كتعبير إنساني بكل ما يضمه الوجود الإنساني من مستويات يتوق من خلالها إلى المحبوب وما تميل إليه النفس وما تراه خيرا كمحبة العبد لربه فهي تعظيم له، وطلب للتقريب إليه وذلك بطاعته، ومحبة الله عند الصوفية تعظيمه، وهناك حب إلهي، روحاني، طبيعي، عنصري.

يقول الشاعر:

آه... تبكي الحمامة

تبكي أقاليم ساطعة هجرها

وأشياء نائية.. لا ترى

آه تبكي أليفا تولى

رمز الحمامة:

وردت لفظة "الحمامة" في القصيدة فهي ترمز إلى السلام والحرية لكن في هذه القصيدة يختلف الأمر فالشاعر أضفى عليها صفات العجز وعدم الحركة وهذه الدلالة الصوفية لهذه اللفظة.

يقول الشاعر الجيلاني[1]:

مُرِيدِي هِمْ وَطِبْ وَاشْطَحْ وَغَنِّي ... وَافْعَلْ مَا تَشَا فَالإِسْمُ عَالِي
وَكُلُّ فَتَىً عَلَى قَدَمٍ وَإِنِّي ... عَلَى قَدَمِ النَّبِي بَدْرِ الْكَمَالِ

رمز القدم:

وردت لفظة "قدم" ومعناها الصوفي المكانة والمقام وترمز إلى العلو والشأن أي الرفع والمكانة العالية وهذه هي دلالتها اللغوية في القصيدة.

يقول الجيلاني[2]:

أَنَا فِي الْحَشْرِ شَافِعٌ لِمُرِيدِي ... عِنْدَ رَبِّي فَلاَ يُرَدُّ كَلاَمِي
أَنَا شَيْخٌ وَصَالِحٌ وَوَلِيٌّ ... أَنَا قُطْبُ وَقُدْوَةٌ لِلأَنَامِ

[1]- ديوان عبد القادر الجيلاني، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف زيدان، دار الجيل للنشر، الطبعة 1، 1991، بيروت، ص155.
[2]- ديوان عبد القادر الجيلاني، الدكتور يوسف زيدان، ص163.

رمز الصبابة:

وظف الشاعر الجيلاني كلمة "الصبابة" وتعني في اللغة الشوق وجدارته وقيل رقة الهوى وهي هنا إشارة إلى المحبة في المفهوم الصوفي وقد وردت الكلمة في قوله[1]:

مَا فِي الصَبابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتعْذَبُ ... إلاّ وَلِي فِيهِ ٱلأَلَذُ الأَطْيَبُ

كما نجد لفظة "مكانة" أيضا وتعني في الاصطلاح الصوفي هي المنازل الرفيعة عند الله تعالى وقد يطلق عليها أيضا لفظ المكان نجد لفظة مكانة في قوله[2]:

أَوْ فِي الْوِصَالِ مَكَانَهُ مَخْصوْصَةٌ ... إلاَّ وَمَنْزلَتي أَعَزُّ وَأَقْرَبُ

كما نجد كلمة "المشرب" وهي كلمة قرآنية وردت في قوله تعالى: "قد علم كل أناس مشربهم" ومعناها اللغوي هو تذوق الحقائق الربانية وقد ورد في قول الشاعر[3]:

وَهَبَتْ لِيَ الأَيّامُ رَوْنَقَ صَفْوِهَا ... فَحَلَتْ مَنَاهِلَهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ

وظف الشاعر لفظة "رجال" وتعني في اللغة (الأولياء) الذين في حقهم قوله تعالى: "لا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وذكرت كلمة "رجال" في قوله: "أنا من رجال لا يخاف جليسهم"

وظف الشاعر لفظة "الشفاعة" في معناها العام هي فعل الخير وترك الأضرار لأجل الغير فهي ترمز للأعمال الصالحة عكس الإسارة والشر دلالتهما الصوفية الجنة وإدخال الناس بغير حساب.

يقول الجيلاني أيضا[4]:

وَلَما صَفَا قَلْبي وَطَابَتْ سَرِيرَتِي ... وَنَادَمَنِي صَحْوِي بِفَتْحِ الْبَصِيرة
شَهِدْتُ بِأَنَّ الله مَوْلَى الْوِلاَيَةِ ... وَقَدْ مَنَّ بِالتَّصْرِيفِ فِي كُلِّ حَالَةِ

وردت كلمة "القلب" في القصيدة ومعناها في الصوفية اسم جامع يقتضي مقامات الباطن كولها فالقلب يرمز إلى الأشياء الصافية ذات الأمور الواعية العالية عكس البغض والشر، في اللغة فقد سار الصوفيون على المنهج القرآني في جعل القلب محل الكشف

---

[1]- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف للنشر بتاريخ 2007، القاهرة، طبعة جديدة، ص77.
[2]- المصطلحات الصوفية لأيمن حمدي، دار أبناء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، بتاريخ 2000، ص88.
[3]- المصطلحات الصوفية لأيمن حمدي، ص96.
[4]- المعجم الصوفي لسعاد الحكيم، دار الطباعة للنشر ببدرة، في طبعتها الأولى، 1981م، بيروت، لبنان، ص916-917.

والإلهام وأداة للمعرفة ألم يقل الله عز وجل: "أفلا تيدبرون القرآن على قلوب أقفالها"، فجعل الله تعالى القرآن محل الإيمان والفهم والتدبير.

وظف الشاعر في قصيدته حادثة الطوفان العظيم في قوله[1]:

إنه الطوفان

هات يدك اليمنى

اركبي الفلك معي واستبشري

رمز الطوفان:

وقد ذكر الشاعر لفظة "الطوفان" ليعبر عن موقف نوح عليه السلام ورمز ديني اتخذه الصوفيون رمز للنجاة والسلام، دلالته اللغوية الخير والسلام.

وظف الشاعر لفظة "السكر" وتعني في المفهوم الصوفي: غياب المحب أما في اللغة السكر الثمل من الأولياء وقد وردت في قوله[2]:

سَقَانِي إِلهِي مِنْ كؤوس شَرَابِهِ ... فَأَسْكَرَنِي حَقَاً فَهِمْتُ بِسَكْرِتِي

رمز إبراهيم:

ذكر الشاعر لفظة "إبراهيم" وهو اسم قديم ليس بعربي والذي يعني في اللغة شدة النظر وقد حكاه الكرماني في عجائبه، وفي هذا الصدد يقول:

وَكُنْتُ وَإِبْراهِيمَ مُلْقَىً بِنَارِهِ ... وَمَا بَرَّدَ النِّيرانَ إِلاَّ بدَعْوَتِي

تمثلت دلالته في رمز ديني يرمز لحقيقة الإنسان الكامل التي من ناحية تجمع في كونها جميع الحقائق الإلهية ومن ناحية ثانية المحل والمجلى والمظهر الكامل للحق[3].

كذلك وظف الشاعر لفظة "إدريس" رمز ديني وأول من خط بالقلم يقول في هذا الصدد:

وَكُنْتُ مَعَ إِدْرِيسَ لَمَّا ارْتَقَى الْعُلا ... وَأُسْكِنَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَحْسَنَ جَنَّةِ

اعتبره الصوفيون رمزا للوصل الإنساني في حال تجرده التام عن جميع علاقاته بالبدن أو هو العقل المحص في تطلعه إلى المعرفة الكاملة بالله (لقطب روحاني يمدد الأولياء)[4]

---

[1]- عثمان لوصيف، ديوان نمش وهديل، دار هومة للنشر، الجزائر، دط، 1997م، ص77.
[2]- عبد القادر الجيلاني، باز الله الأشعب، د. يوسف زيدان، الطبعة 1، 1991م، منشورات دار الجيل، بيروت، ص145.
[3]- المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، دار بدر للطباعة والنشر، الطبعة 1، 1981م، بيروت، لبنان، ص29.
[4]- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، ص463.

رمز الموت:

وظف لفظة "الموت" التي تعني الإنهاء وإزالة الحياة في اللغة عكس البقاء والحياة، وقد وردت هذه الكلمة في قوله:

سَأَلْتُكَ يَا مُحْيِي حَيَاةً هَنِيئَةً ... مُمِيتٌ أَمِتْ أَعْدَاءَ دِينِي مُعَجِّلا

ودلالتها الصوفية تمثلت في أنهم كانوا لا يحلو الكلام إلا عندهم فهم الطائفة الوحيدة التي نظرت إليها باشتياق وحنين[1]، ودغدغ، فالموت عندهم عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا إلى الآخرة.

رمز الميزان:

وظف كذلك لفظة "الميزان" التي تعني العدل والمساواة والقسط عكس الظلم، وقد وردت في قوله:

وَكُنْ يَا مُرِيدِي حَافِظَاً لِعُهُودِنَا ... أَكُنْ حَاضِرَ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْوَقِيعَةِ
وَإِنْ شَحَّتِ الْمِيزَانُ كُنْتُ أَنَا لَهَا ... بِعَيْنِ عِنَايَاتٍ وَلُطْفِ الْحَقِيقَةِ

اعتبره الصوفيون عندهم رمزا للاعتدال في الأشياء (العدل والمساواة) فالعدل الإلهي يأتي إلا أن يتبع الميزان عين الشخص صاحب الأعمال، فلكل إنسان ميزان فلا يظلم أحد[2].

يقول الشاعر:

أَنَا الْعَاشِقُ الْمَعْشَوقُ فِي كُلِّ مُضْمَرٍ ... أَنَا السَّامِعُ الْمَسْمُوعُ فِي كُلِّ نَغْمَةِ

وظف الشاعر لفظة "العشق" التي تعني شعورا في اللغة أما عند الصوفية فقد عبر عنها بالإفراط في المحبة أو المحبة المفرطة التي تسري في جسم الإنسان بجميع أجزائه وقواه وروحه وعروقه وغمرت جميع مفاصله وعانقت جسمه وروحه سواء كان حب إلهي روحاني طبيعي[3].

رمز آدم:

كذلك وظف لفظة "آدم" وهو رمز ديني يمثل أبو البشرية الذي يعني في اللغة الموافقة والملائمة، وردت هذه اللفظة في قوله:

وَلِي نَشَأَةَ فِي الْحُبِّ مِنْ قَبْلِ آدمِ ... وَسِرِّي سَرَى فِي الْكَوْنِ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي

---

[1]- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، دار بدرة للطباعة والنشر، الطبعة 1، 1981م، بيروت، لبنان، ص1028.
[2]- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، ص12039.
[3]- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، ص303.

تمثلت دلالته الصوفية عندهم بأن آدم هو القطب الذي يرمي إلى الحقيقة الإنسانية والإنسان الكامل الذي يجمع في حقيقته كل الحقائق المنتشرة في الأكوان، فهو الكون الجامع وروح العالم، خليفة الله في الأرض، النفس الواحدة التي خلق منها هذا النوع الإنساني[1]

[1]- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، ص54.

الخاتمة

خاتمة:

الخاتمة:

من خلال تتبعنا لتجربة الرمز الصوفي في شعر عبد القادر الجيلاني كمحور لهذه الدراسة من عدة جوانب تم التوصل إلى النتائج التالية:

تميز الرمز الصوفي بخاصة الرمز، حيث وظف الشعراء الصوفية الرمز توظيفا جماليا بأشكال متعددة، ومن بين هؤلاء الشعراء عبد القادر الجيلاني الذي وظف الرمز في شعره وذلك من خلال رموز متعددة بأشكال متنوعة.

يعد الرمز الصوفي من أكثر الجوانب الأدبية خصوصية، وذلك لما تتفرد به اللغة الصوفية من مميزات لغوية وبلاغية وهذه الخصوصية تعود في الأساس إلى طبيعة التجربة الصوفية والممارسات العرفانية فالتجربة الصوفية هي البنية العميقة التي تتغلغ في أحشائها ذاتية الصوفي.

فاحتاجت هذه التجربة الخاصة إلى لغة خاصة تستوعبها فمالت لغتهم إلى الرمز الذي شاع عندهم لأن اللغة الصوفية هي لغة رامزة.

الرمز موضوع يشير إلى موضوع آخر لكن فيه ما يؤهله لأن يتطلب الانتباه أيضا لذاته بصفة شيئا معروضا، فإن الشاعر الرامز يطلق طاقته الإيحائية: ذات الخواص الجمالية الفعالة في مخيلة المتلقي.

الرمز كان حالة تجاوز الواقع الحسي ويتخطاه إلى الإشارات الفنية في رماله والدلالات الخبيئة وراءه والتي تكشفها القوة الحدسية لأن امتلاك الملكتين الحسية والحدسية لازما في إبداع الرمز.

أن الرموز تختلف باختلاف أشكال بنائها، فمنها رموز تستغرق القصيدة كلها وتشكل محاورها وأخرى تعد جداول صغيرة تتدفق من شعاب جانبية.

في الرمز لشعري إذن يحضر المعنى بطبيعة ازدواجية تخضع بالضرورة لاواليات التأويل ويتحكم في ضبطها، ويتحكم في توجيه مآلاها الدلالية وهو الرمز بطبيعته تلك. فالرمز معنى خطي وإيحائي: هو لغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة.

إن توظيف الشاعر لمظاهر الطبيعة لا يقف موقفا سلبيا بل يتفاعل معها ويبحث عن الجوهر القابع بداخلها وعن روحها المستترة.

استخدم الشاعر الرموز تمثلت في شخصيات ذات وزن حضاري ويدن لما لها من علاقة بالعروبة والإسلام، استحضرنا بغية ربط الحاضر بالماضي وهذا راجع إلى ثقافته وقد تمثلت عدة رموز مثل الرموز الذاتية والتاريخية بكثرة.

الكون الشعري عند عبد القادر الجيلاني يفيض بالرؤى الصوفية التي تركز على المحبة والإيمان، ولكن الصوفية عند شاعرنا ليست توجها ولا معتقدا ولا فن للحياة، وليست مركبا يسري في دم القصيدة وإنما هي موقف إنساني إيجابي اتجاه القضايا العالم في عصر يرهن كل يوم عن سخوة العقل الضال فهي صوفية من حيث اختيارها للمحبة والإيمان كطريقة للخلاص البشرية.

يعتبر الرمز في وظيفته إلى تكثيف الصورة الشعرية وإغنائها، كما يزيد من الأبعاد الجمالية للقصيدة.

أبدع الشاعر في تصوير البيان القرآني لأنه من المصادر الأساسية التي تفاعل معها في تكوين تجربة شعرية ومدته بقاموس شعري يمثل نسيجا لغويا متميزا بنيته قصائده.

يعد الرمز مظهر يخفي حقيقة جوهرية يكشفها الشاعر به والرمز الصوفي فكر إسلامي فلسفي نشأ مع الإسلام، فالقرآن والسنة عما المنبعان الأساسيان له.

نشأة التصوف كأنه جراء تأثير عوامل عديدة ترجع إلى ظروف بيئية واجتماعية وسياسية واقتصادية ساعدت في شأنه وتطوره.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم

1. إبراهيم الروماني، الغموض في الشعر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
2. ابن العربي، الديوان، شرح وتقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، م2، ط1، 2008م.
4. أبو بكر القادري 1999م، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين، الآسيوي والإفريقي، بيروت، لبنان، مطبعة النجاح الجديدة، ص107، مؤرشف من الأصل في 22 أغسطس 2020.
5. أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر.
6. أدونيس (علي أحمد سعيد)، الثابت والمتحول بحث في الأتباع والإبداع، دار العودة، بيروت، دت.
7. أيمن حمدي، المصطلحات الصوفية دار أبناء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، بتاريخ 2000.
8. باز الله الأشهبي، يوسف زيدان، دار المعارف، مصر، 1999م.
9. جان شوقلي، التصوف والمتصوفة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1999م.
10. حامد حنيفي داوود، تاريخ الأدب الحديث وتطوره.
11. حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، دار النشر مؤسسة مختار، الطبعة 2، بيروت.
12. داوود محمد القصيري، شرح القيصري على قافية ابن الفارض، اعتنى به أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، بيروت، دار الكتب العلمية.
13. ديوان الحلاج ويليه أحباره وطواسينه، جمع وتقديم: سعد صناوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.
14. ديوان عبد القادر الجيلاني، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف زيدان، دار الجيل للنشر، الطبعة 1، 1991، بيروت.

15. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م.
16. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الهدى، عين المليلة، دط، دت.
17. الزمخشري، الكشاف، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983م.
18. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي دار بدرة للطباعة والنشر، الطبعة 1، بيروت، لبنان.
19. عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، النيل، القاهرة، دط، 1998م.
20. العاطف جودة، الرمز الشعري، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1.
21. عبد الباقي مفتاح (2014م)، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص67، مؤرشف من الأصل في 22 أغسطس 2020.
22. عبد القادر الجيلاني، باز الله الأشعب، د. يوسف زيدان، الطبعة 1، 1991م، منشورات دار الجيل، بيروت.
23. عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية) دار الرشاد، القاهرة، ط1.
24. عثمان لوصيف، ديوان نمش وهديل، دار هومة للنشر، الجزائر، دط، 1997م.
25. عز الدين إسماعيل، قضايا الشعر العربي المعاصر،.
26. عمر فروخ، التصوف في الإسلام.
27. فلاح بن إسماعيل بن أحمد، العلاقة بين التشيع والتصوف رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية دكتوراه، مخطوط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1411هـ.
28. فلاح بن إسماعيل، العلاقة بين التشيع والتصوف.

29. كتاب جغرافية الباز الأشهبي، تحقيق مكان ولادة الشيخ عبد القادر الجيلاني، د. جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة الجليس، بيروت، 2012م.
30. كتاب عبد القادر الكيلاني، رؤية تاريخية معاصر (كتاب)، تقديم الدكتر عماد عبد السلام رؤوف، مؤسسة مصر مرتصى للكتاب العراقي، بغداد، 2011م.
31. لسان العرب لابن منظور، دار المعارف للنشر بتاريخ 2007، القاهرة، طبعة جديدة.
32. محمد بن مكرم بن على، بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دتط.
33. محمد سعيد فاطمة الزهراء، العناصر الرمزية في القصة القصيرة.
34. محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب في التراث الصوفي.
35. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر 1977م.
36. محمد كعون، التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر.
37. مرسلي بولعشار، الخصائص الفنية للرمز عند الصوفية، مجلة علوم اللغة العربي وآدابها، العدد5، جامعة الوادي، الجزائر، 2013م.
38. مقدمة تحقيق ديوان عبد القادر الجيلاني.
39. موسى بن موسى، ظاهرة التصوف ودورها في صقل العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع8.
40. نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هدمة، ط1، 2003م.
41. يوسف زيدان، المتواليات دراسة في التصوف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: ..... أ
المبحث الأول: مفهوم الرمز 6
معنى الرمز: 6
أنواع الرمز: 7
خصائص الرمز: 8
المبحث الثاني: ظاهرة التصوف 9
التصوف (لغة واصطلاحا): 9
نشأة التصوف: 9
رواد التصوف: 10
مراحل التصوف: 12
نتيجة: 14
المبحث الثالث: ترجمة المؤلف 15
مولده ونشأته: 15
مؤلفاته: 15
مذهبه وعقيدته: 17
وفاته: 17
الرمز ودلالته وخصائصه: 19
رمز الخمرة: 19
رمز الطير: 20
رمز الأطلال: 20
رمز المرأة: 21
رمز الفتوة: 21
رمز الحب: 21
رمز الحمامة: 22
رمز القدم: 22
رمز الصبابة: 23
رمز الطوفان: 24
رمز إبراهيم: 24
رمز الموت: 25
رمز الميزان: 25
رمز آدم: 25
خاتمة: 28
فهرس المصادر والمراجع 31
فهرس المحتويات 35